المناهج النقدية وآليات التأويل

أ . فاطمة دين حمد الجهيمي
جامعة سبها
كلية الآداب . قسم اللغة العربية

مقدمة

تعدُّ المناهج النّقدية في النقد المعاصر مسألة شغلت بال كثير من الباحثين والنقاد، ولا شك أنَّ المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة كانت ناشئة من تلاقي الأفكار العلمية والثقافية على مختلف صنوفها وأنواعها، ويعدُّ العمل الأدبي وهو موضوع النقد عامةً، فمن المعلوم أنَّ النصوص الأدبية منثورة كانت أم منظومة، هي هدف النقد الأدبي وموضوعه؛ حيث يتبارى النقاد على مختلف طبقاتهم ومدارسهم النقدية في تسليط الأضواء على النصوص الأدبية، وبيان خصائصها وما تمتاز به من سمات دون غيرها، وقد تطور النقد الأدبي على مختلف العصور، فظهرت في العصر الحديث مناهج نقدية متعدِّدة جعلت، من النقد علماً قائماً بذاته، وتبارت في إبراز مواطن القوة والضعف في النصوص الأدبية، متخذة التأويل في أحيان كثيرة للوصول إلى أعماق النص الأدبي، وكشف خباياه وإماطة اللثام عن غوامضه، فالنصُّ الأدبي كما نعلم له أوجه متعددة ودلالات مختلفة، تتضمن كثيراً من القراءات، والتأويلات التي تعطي النص حلة جديدة على مستوى الخطاب الأدبي، كما أنَّ المتلقي بقراءته لأيّ نص من النصوص الأدبية المنثورة والمنظومة، يتبين دلالته الخفية؛ لأنَّ محتوى النص، وسياقاته المتنوعة تُحيل القارئ على معان متنوعة، لكون النص إنتاج إبداعي يُتيح معيناً لا ينضب من التساؤلات والاحتمالات التي تشغل ذهن القارئ، وتأسره وتسيطر على تفكيره، فيحاول جاهداً أنْ يصل إلى أعماق النص ويسبر أغواره، ولا يصل إلى هذه المرحلة إلاّ عن طريق التأويل الذي يجيب على كثير من التساؤلات وينفي الحيرة عن ذهن الناقد ومن ثم المتلقي.

فللمنْهجُ دوره الرئيس في أنْ يقوم بعملية التحليل والطريقة المناسبة في تناول النصوص وتحليليها، والوصول إلى نتائج تكشف عن ملابسات النص، ولا يوجد منهجٌ دون أدوات وآليات يستخدمها لأداء مهمته ووظيفته عليها، وانطلاقاً من أهمية التأويل في المناهج النقدية المختلفة وتعدد آلياته كان هذا البحث وهو: **المناهج النقدية وآليات التأويل.**

أولاً: المناهج النقدية:

بالنظر في المعاجم اللغوية عن مدلول كلمة منهج نجد مجموعة من الدلالات اللغوية منها على سبيل المثال: الخطة والطريقة، والهدف، والسير الواضح، والصراط المستقيم (لسان العرب – مادة نهج)، وهذا يقودنا إلى أنّ نعرِّف المنهج بأنه: طريق واضحة المعالم ومعروفة المدخلات والمخرجات وهو ذو خطوات محددة، تنطلق من بداية البحث إلى نهايته.

ومن هنا يمكننا أن نعرف المنهج النقدي بأنّه: الطريقة التي يتبعها الناقد في قراءة العمل الإبداعي والفني، قصد معرفة دلالاته وبنياته الجمالية والشكلية.

وقبل الخوض في أشهر المناهج النقدية المستخدمة في النقد الحديث، نعرج على البدايات النقدية إبَّان عصر النهضة الأدبية العربية؛ حيث نجد النقد في هذه المرحلة قد اتَّسم بطابع بياني ولغوي؛ ونلحظ ذلك جلياً عند علماء الأزهر إذ إنَّهم كانوا يمارسون النقد الأدبي وفق المعايير اللغوية والبلاغية والعروضية، ونرى ذلك جلياً عند الشيخ حسين المرصفي في كتابه المشهور "الوسيلة الأدبية" (الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، 2/ 396)، والأمر نفسه عند طه حسين في بداياته النقدية، فلا يخفى كيف أنَّه تبنى قضية الانتحال في الشعر الجاهلي وشكّك فيه، جاعلاً مقياس اللغة والبلاغة سبيله لنقد الشعر الجاهلي، فهو يرى أنَّ الشعر الذي ينسب إلى امرئ القيس أو الأعشى أو غيرهما من الشعراء الجاهليين، لا يمكن من الوجهة اللغوية والفنية أنْ يكون لهؤلاء الشعراء (في الشعر الجاهلي، ص209)، ولطه

حسين نظرات نقدية ثاقبة في هذا الموضوع دعمها بحجج وبراهين، بعد أنْ أعمل فيها فكره وأخضعها لقراءة جديدة كشفت له عن حقائق يرى أنَّها هي الواقع والأولى بالإتباع والأخذ ، ومع بداية القرن العشرين ظهر المنهج التاريخي أو كما يسميه بعض النقاد " النظرية المدرسية؛ لأنَّ هذا المنهج كان يدرس في المدارس الثانوية والجامعات في أوروبا والعالم العربي.

ويهدف هذا المنهج إلى تقسيم الأدب العربي إلى عصور سياسية: هي العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، وعصر بني أمية، والعصر العباسي، وعصر الانحطاط أو العصر المغولي أو العصر العثماني، ثم العصر الحديث، والعصر المعاصر.

ويتعامل هذا المنهج مع الظاهرة الأدبية من ناحية سياسية، فكلّما تقدّم العصر سياسياً ازدهر الأدب، وكلّما ضعف العصر ضعف الأدب (مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي، ص4).

وقد استخدم النقاد في هذه المرحلة آليات مختلفة للتأويل بهدف تحليل النصوص وتشريحها بغية الوصول إلى فهم حقيقة النص، ولعلّ من أهم الآليات التي استخدموها: اللغة والبلاغة والمجاز.

المناهج النقدية عند النقاد الغربيين:

ظهرت مناهج نقدية في أوروبا بتطور تاريخ النقد الأدبي، وقد انبثقت هذه المناهج النقدية عن الفكر العميق في النصوص المكتوبة والاتجاهات العلمية واللغوية التي سلكها هؤلاء اللغويون ولعلّ من أهم هذه المناهج ما يلي:

المنهج النفسي:

يستمدُّ هذا المنهج آلياته النقدية من نظرية التحليل النفسي التي ارتبطت باسم سيجموند فرويد حيث فسر على أساسها السلوك البشري برده إلى منطقة اللاشعور، وقد ذهب فرويد إلى أنَّ الجهاز

النفسي في الإنسان يتكون من ثلاثة جوانب هي: الهو، والأنا، والأنا الأعلى (مناهج النقد الأدبي، ص22)، قد عرف المنهج النفسي بأنّه ذلك المنهج الذي يخضع النص الأدبي للبحوث النفسية في تفسير الظواهر الأدبية، والكشف عن عللها وأسبابها ومنابعها الخفية، وخيوطها الحقيقية، ومالها من أعماق وأبعاد وآثار ممتدة.

المنهج الاجتماعي:

لا شك أنَّ العلاقة بين الإنتاج الأدبي والمجتمع الإنساني علاقة قوية وثيقة؛ فمنشئ النص الأدبي هو في الحقيقة ابن مجتمعه يؤثر فيه ويتأثر به، ولهذا فإنَّ المنهج الاجتماعي يقوم على أساس الصلة الوثيقة بين الأدب والدلالات الاجتماعية في تأويل الآثار الأدبية وفق دلالاتها الاجتماعية.

ويمكن القول إنَّ بدايات النقد الاجتماعي تعود إلى نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، وكان رواد هذه المرحلة هم أدباء فرنسيون كانوا قد هاجروا إلى ألمانيا وإنجلترا من أهمهم: "مدام ستال" التي أصدرت في عام 1800م كتاباً عن الأدب من حيث علاقاته بالنظم الاجتماعية، "وشاتو بريان" الذي أصدر عام 1802م. كتاب: (عبقرية المسيحية). فقد كان هذان الأديبان بداية لعدد من الدارسين والنقاد الذين يضعون المجتمع نصب أعينهم حين يزاولون النقد، ومن ضمن هؤلاء: "قلِمان. ثم جاء سنت – بيف 1804–1869م الذي احتفل بالمجتمع وبظروف الأديب (: مقدمة في النقد الأدبي، ص 404).

ويمكن عدّ النقد الاجتماعي نوعا من الأدب، وذلك أن الأديب يحاول أن يعالج خللاً اقتصادياً، أو سياسياً، أو اجتماعياً، وفي أغلب الأحيان لا يعالج سوى الموضوعات التي تهم الرأي العام في حينها، الأمر الذي يجعل منه نوعاً من الأدب، لا يهم من يعيشون في غير عصره، وهذا الجنس يستعمل قوالب

أدبية معروفة كالشعر، والرواية النثرية، والمقالة النثرية، ولكنّه في أغلب أحيانه يعتمد على النوعين الأخيرين، إلاّ أنَّ الشعر كان وسيطاً للنقد الاجتماعي في العصور الرومانتيكية المختلفة بغرب أوربا، ويمكن أنْ نعد المدرسة الواقعية، والمدرسة الطبيعية في تاريخ الرواية الفرنسية مظهرين واضحين للنقد الاجتماعي، كما أنَّ نوع الرواية الخيالية التي تصوِّر بطريقة أو بأخرى فهم المؤلّف للمدينة الفاضلة أو للجمهورية المُثلى أيضاً من أهم مظاهر هذا النقد. وبما أنَّ المجتمع ينقسم إلى طبقات على أساس اقتصادي فإنَّ هذا يقود إلى صراع ينشب بين المسيطرين على الثورة الاقتصادية، والمحرومين منها.

ولهذا لابدَّ من رد التطورات التي تنشأ سواء ما كان منها جريئاً أو شاملاً إلى التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تلحق بالمجتمع في مرحلة تاريخية محدّدة، ويمكن عن طريق تطبيق المنهج الاجتماعي فهم نشأة الظواهر الأدبية المختلفة وتطورها وزوالها، ويفيد المنهج الاجتماعي النقد إذا كان يتناول الأعمال الأدبية ذات الطابع الاجتماعي، فيحدّد الأصول التي ينشأ منها العمل الفني، ويفسر ما ينطوي عليه من معان ودلالات لكن تطبيق المنهج على جميع الأعمال الفنية يسفر عن نتائج سليمة، فثمة أعمال فنية لا تسري عليها مقولات التحليل الاجتماعي والاقتصادي. كما أنَّ هذا النوع من النقد شأنه شأن النقد النفسي لا يصلح لتفسير التركيب الداخلي للعمل الفني، فالناقد هنا يتكلّم بعبارات تاريخية واجتماعية على الموضوع الذي يعالجه العمل الفني والأفكار التي يعبِّر عنها، غير أنّه عندما ينتقل إلى العناصر الفنية للعمل لا يستطيع أنْ يتحدث عنها باللغة نفسها.

وهو المنهج النقدي الذي دعت إليه الفلسفة الاشتراكية، فهذا المنهج يعنى بدراسة المجتمع كما يعنى بتتبع الأعمال الأدبية التي تصور المجتمع بخيره وشره، وتدعو إلى تقدّمه، وهذا يقترب من مذهب الواقعية الجديدة، وهي تعنى بتسجيل الواقع بما فيه وكلَّ ما فيه، وهذه هي نفسها الواقعية الاشتراكية. وتؤمن هذه الواقعية بالفرد من خلال الجماعة، بعكس البورجوازية التي تؤمن بالجماعة من خلال الفرد.

المنهج البنيوي:

البنيوية لغة: هي البناء أو الطريقة وكذلك تدلُّ على معنى التشييد أو العمارة والكيفية التي يكون عليها البناء (لسان العرب، ابن منظور، مادة (بنى)).

واصطلاحاً: هي منهج فكري وأداة للتحليل تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإنْ كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي.

يقول إميل بنفست البنية هي ذلك النظام المنسق الذي تتحد كلُّ أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف، تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات، أو العلامات المنطوقة التي تتفاعل، ويحدّد بعضها بعضاً على سبيل التبادل (المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية، ص12).

وقد اشتقت كلمة البنية من البناء، فالبناء لغة هو بناء الشيء بضمِّ بعضه إلى بعض نقول: بنيت البناء أبنيه، وهي تعني النظام أو النسق المستند إلى المعقولية، وهي الصورة، أو التعميم الكلي الذي ترتبط أجزاؤه بشكل منطقي يكشف عن النسق العقلي داخل البيئة

ويعدُّ العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير 1857-1913م، هو رائد النظرية البنيوية؛ حيث إنَّ أفكاره وتوجهاته كانت النواة الأولى لنشأة الفكر البنيوي، وكانت هذه النظرية في بادئ أمرها محاضرات دراسية في علم اللغة ألقاها دوسوسير على طلابه، وبعد وفاته تولى تلاميذه نشرها وفاء له، وقد نشرت نظريته في كتاب عنوانه: محاضرات في علم اللغة العام (مناهج النقد المعاصر، ص88) ثم بعد ذلك برز ثلاثة علماء كان لهم أثر كبير في تطوير النظرية البنيوية، وكان لهم دور في بلورة كثير من الأفكار المرتبطة بالبنيوية اللغوية؛ فقد تتبعوا خطا دو سو سير وأثاروا الانتباه لأفكاره وتصوراته الجديدة في تناول القضايا اللغوية (اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص54)؛ ودعوا إلى استخدام

المنهج البنيوي في الدراسات اللغوية ، وهؤلاء العلماء هم رومان ياكوبسون، وكارشفسكي، وتروتبسكوي؛ فقد وضع هؤلاء العلماء الثلاثة أصول النظرية البنيوية وقواعدها الحديثة.

وقد ظهرت البنيوية في جهودها النقدية مستكملة جهود الحركات النقدية السابقة، مثل المدرسة الشكلانية والنقد الجديد, والبنيوية هي منهج من مناهج الحداثة تفرع منه قسمان، القسم الأول: ينقسم إلى نقد سيميائي وآخر تفكيكي، أما القسم الثاني فيشمل مناهج قرائية، وهي التلقي والتأويل والظاهراتية، والبنيوية نقد يعنى بالبنية التي تعني النسق، وتشير إلى مختلف التركيبات وُعرفت البنيوية على أنها "المثل الأعلى في السعي إلى تحقيق معقولية كامنة عن طريق تكوين بناءات مكتفية بنفسها" (الجذور الفلسفية للبنائية، ص8).

وخلاصة النقد البنيوي أنه يصبُّ اهتمامه على جانب اللغة؛ وذلك بالتعامل مع النص تعاملاً فردياً دون النظر إلى أيِّ شيء يمتُّ للنص بصلة أو علاقة مثل: المؤلف أو المجتمع أو الدين، ولهذا فإنَّ النقد البنيوي مفهوم يستبعد مؤلف النص الأدبي؛ لأنَّ هذا المفهوم يقصد به جعل النصوص شيئاً واحداً، ووضعها في بوتقة واحدة؛ لأنَّ ذلك يرتبط بعلاقة مباشرة بين الإنسان، والعمل الأدبي، وهذا من أهم مبادئ البنيويين؛ فقد أشار إليه رولان بارت بقوله: "اللغة هي التي تتكلم، وليس المؤلف" (نقد وحقيقة. ص15-25). انطلاقا من فكره الذي يعد الأدب نصًا تامًا منغلقًا على نفسه ومنقطعًا عن محيطه الذي أنتج فيه.

كما يرفض النقد البنيوي أموراً أخرى يرى أنَّها لا تفيد في التحليل اللغوي، بل قد تكون عائقاً أمام البنيوي، ومن تلك الأمور مثلاً إهمال الجانب التاريخي في التحليل اللغوي، وذهبوا إلى أنّه لا يوجد شيء يطلق عليه التاريخ؛ فالفهم الشائع لدى البنيويين حول علاقة اللغة بالتاريخ هو أنَّ اللغة هي التي أوجدت

مفهوم التاريخ وليس العكس (اللغة الثانية، ص: 152).

وفي الوقت نفسه فإنَّ البنيويين يرفضون مبادئ الإلهام، والخلق الأدبي ورسالة الكاتب، أو العمل الفني؛ إذْ يرون أنَّ الإيمان بهذه المبادئ يؤدي في النهاية إلى إلغاء النص، والقضاء على وجوده (أساسيات في اللغة العربية، ص:218–220). فالمهمَّة الأولى للنَّاقد هي أنْ يصِف الآثار الأدبيَّة بدقَّة كبيرة، وأنْ يجد قِيمتها على أساسٍ مِن ذلك الوصف، فتركّز الاهتمام على تحليل الأثَر الأدبيّ معزولًا عن أيَّة قرينة، بدلًا من الإجمال التاريخيّ لعصرٍ من العصور" (الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص، ص34).

والنقد البنيوي يعدُّ العمل الأدبي كلاً مكوناً من عناصر مختلفة متكاملة فيما بينها على أساس مستويات متعدِّدة تمضي في كلا الاتجاهين، الأفقي والرأسي في نظام متعدِّد الجوانب متكامل الوظائف في النطاق الكلي الشامل، ويقترح بعض البنيويين ترتيب هذه المستويات على النحو التالي:

1) المستوى الصوتي، حيث تدرس فيه الحروف وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم.

2) المستوى الصرفي، وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة.

3) المستوى المعجمي، وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية، والتجريدية، والحيوية، والمستوى الأسلوبي بها.

4) المستوى النحوي، لدراسة تأليف وتركيب الجمل، وطرق تكوينها، وخصائصها الدلالية والجمالية.

5) مستوى القول، لتحليل تراكيب الجمل الكبرى لمعرفة خصائصها الأساسية والثانوية.

6) المستوى الدلالي، الذي يشغل بتحليل المعاني المباشرة والصور المتصلة بالأنظمة الخارجة عن حدود اللغة التي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع، وتمارس وظيفتها على درجات الأدب والشعر.

7) المستوى الرمزي، الذي تقوم فيه المستويات بدور الدال الجديد الذي ينتج مدلولاً أدبياً جديداً يقود بدوره إلى المعنى الثاني، أو ما يسمى باللغة داخل اللغة.

وللنقاد آراء في المنهج البنيوي، فقد تحدثوا على إيجابيته وسلبياته، فمن إيجابياته أنّه يفرض على القارئ ثقافة لغوية تمكّنه من فهم النصوص، غير أنَّ هذا فيه جانب سلبي، وهو الحدُّ من عمومية المعرفة، الأمر الذي يفرز نوعاً من المنفعة الأدبية المحدودة، ومن إيجابياته كذلك أنَّه يسعى إلى انتقال القارئ من متلق ومستمع إلى مشارك بجدية في فهم النص وتحليله، وهذا يتطلب منه انتباهاً شديداً وتركيزاً عالياً في استنباط ما يحمله النص من دلالات، وما يكتنفه من غموض، ومن ثم يحاول القارئ أنْ يفترض الحلول المناسبة للظواهر الأدبية والقضايا الفنية للنصوص المراد تحليلها تحليلاً بنيوياً.

ومن سلبيات المنهج البنيوي تجاهل الظروف المحيطة بالكاتب والبيئة التي ينشأ فيها الكاتب، ويتأثر بها.

وتعد البنيوية ذات صلة وثيقة بحركة الحداثة، وقد أفادت البنيوية من منجزات دي سوسير في اللغة والكلام والدال والمدلول، وغيرها من المصطلحات، كالسياق والمرسِل والمستقبِل، أو الملقي والمتلقي، إنَّ البنيوية طريقة بحث في العلاقات، ومحاولة لاكتشاف القوانين الشاملة التي تتحكم في الاستخدام الأدبي للغة من تركيب البناء الوظيفي حتى الصيغ الشعرية.

ثانيا: مفهوم التأويل لغة واصطلاحاً:

-التأويل في اللغة:

من مادة (أوّل) تفيد معنى الرجوع، والعود، والأوّل: الرجوع: آل الشيْ يؤول أوْلاً ومآلاً: رجع، قال

وقيل التأويل: المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا؛ أي صار إليه، وأولته: صيرته إليه.

وقيل: أوّل الحكم إلى أهله؛ أي أرجعه ورده إليهم، وآل الجسم اذا نحف، وتأويل الكلام: عاقبته وما يؤول إليه [لسان العرب، ج11/ ص32-34]، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف :53]، والكلام إنما يرجع ويعود ويستقر ويؤول إلى حقيقته التي هي عين المقصود به، وهذا المعنى الوارد في الكتاب والسنة؛ والتأويل رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا ؛ ففي العلم نحو قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ أي بيانه الذي هو غايته المقصودة منه (التعريفات، ص 34)، وفي الفعل نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾، وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (المفردات في غريب القرآن، ص27)، قيل: أحسن معنىً وترجمةً

التأويل في الاصطلاح:

للتأويل في الاصطلاح تعريفات كثيرة منها على سبيل المثال: التأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإنْ وافق ظاهره أو خالفه، فهو تفسير الكلام وبيان معناه، وهذا المعنى المراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة (الإكليل في المتشابه والتأويل، ص26-32).

وقد عرّفه العلماء تعريفات تختلف باختلاف التخصص الذي ينتمي إليه كلٌّ منهم فينظر كلٌّ منهم إلى التأويل من زاوية اهتمامه؛ فأهل النحو يعرفونه بأنَّه: صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية تحتاج لتقدير وتدبر، فالنحاة وإنْ لم يمكن لهم اصطلاح خاص بما يعرف بالتأويل النحوي كما سيأتي ولكن هناك إشارات تنساق من كلامهم عندما يريدون توجيه أو توضيح بعض النصوص) (جمع الجوامع في أصول الفقه، 52/2).

أما التأويل عند البيانيين فلا يخرج عن معناه الأصلي فيعرفونه بأنَّه اللفظ الذي نقل عن معناه الأصلي ويدلُّ على معنى غيره مناسب له ويسمى التأويل في البلاغة بالمجاز (جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، ص9).

والتأويل عند المفسرين يطلق ويراد به التفسير فهما مترادفان كما نقل عن الطبري، الذي سمى تفسيره (جامع البيان في تأويل القرآن)، ويطلق التأويل أيضاً في عرف المفسرين على المعنى المخالف لظاهر اللفظ، وهذا هو الشائع عند المتأخرين، ويطلق التأويل ويراد به وقوع الشيء في الخارج نفسه، سواء أكان الكلام خبراً أم إنشاء، فالتأويل على هذا التعريف من الأمور العينية وقد وردت لفظة التأويل في القرآن الكريم في مواضع عدة منها :

1- قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: 53]، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:7].

2- والتأويل يأتي بمعنى التفسير عند المفسرين، قال مجاهد: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه، وهذا مما يعلمه الراسخون .وقد ذهب كثير من الباحثين إلى أن نشأة التأويل ترجع إلى أصول دينية (نظرية التأويل، مصطفى ناصف، النادي الأدبي الثقافي وجدة)، ويرون أنَّ التأويل مجموعة من القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الدين، ولعلّ أبرز أعلام النظرية التأويلية: شيلر ماخر الذي يعُّد من الرواد الذين نقلوا التأويل من المجال الديني إلى العلوم الإنسانية؛ فهو مؤسس علم التأويل الذي ينطق من الخطاب الشفهي، وليس من النصوص ويمحور مسألة الفهم على المتكلم الأجنبي، وعلى ذاتية المؤلف واضعاً بذلك التفسير النفسي أو التقني إلى جانب التفسير النحوي (إشكاليات القراءة وأليات التأويل، ص20).

وقد أطلق كثير من الباحثين على لفظ التأويل – الهيرمنيوطيقا؛ حيث تعدّ الهيرمنيوطيقا من الفلسفات الّتي اهتّمت بالتّأويل أو التّفسير. بمعنى أنّها تروم الولوج إلى أغوار النّصوص وشرحها، وتنبغي الإشارة إلى أنّ الهيرمنيوطيقا، كانت تهتمّ في بداياتها بتفسير النّص المقدّس، ثمّ اتسعت دائرة اهتماماتها في القرن الثّامن عشر لتطال ميدان العلوم الإنسانيّة والأدب. وعليه فالمقصود بالهيرمنيوطيقا "مفتاح التأّويل، وهو مفتاح قصد فتح المعنى المتواري والخفيّ وراء أو تحت العبارات الظاهرة المرئية" (تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر العربي المعاصر، ص29).

"ومن هنا فإنّ وظيفة التّأويل تنصبّ على إيضاح مقاطع غامضة، وغير مستوعبة من النّصوص، لأنّ المعنى الجليّ والواضح لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل، وقد يحتاج إلى تأويل ليكون معقولاً" (قراءات في الخطاب الهرمنيوطيقي، ص80).

الخاتمة

بعد دراسة هذا الموضوع يمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

1- التأويل له مفاهيم متعدّدة بحسب توجهات العلماء واهتماماتهم العلمية؛ فينظر إليه كلٌّ واحد من زاوية اهتمامه وتخصصه.

2- التأويل له علاقة وثيقة وقوية بالأدب والفن ونقدهما؛ حيث إن مهمته تتمثل في العمل على استخراج المعاني العميقة التي تنطوي عليها هذه الأعمال الأدبية والفنية وغيرها عن طريق أدوات القراءة والفهم.

3- كان للتأويل دوره المهم في إثراء المناهج النقدية بمختلف أنواعها، وكشف الغموض عن كثير من خباياها، ورموزها، وأسرارها.

مصادر ومراجع البحث

1. ابن تيمية، تقي الدين أحمد، الإكليل في المتشابه والتأويل، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد الشيمي شحاتة، دار الإيمان، الإسكندرية.
2. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
3. أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
4. أساسيات في اللغة العربية، زايد مقابلة، مكتبة الفجر، ط1، 1988
5. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
6. بلقاسم، محمد، 2009. الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص: النقد البنيوي، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة، الجزائر.
7. الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت– لبنان ،1985.
8. حسين، د. طه، في الشعر الجاهلي، تقديم ودراسة وتحليل: سامح كريم، الدار المصرية اللبنانية،
9. رولان بارت، نقد وحقيقة. ترجمة منذر عياشي، ط1، مركز الإنماء الحضاري، حلب 1994م.
10. زكريا، فؤاد، الجذور الفلسفية للبنائية، المغرب، درر قرطبة، ط 2، 1986.
11. الزّين، محمد شوقي، 2015. تأويلات وتفكيكات: فصول في الفكر العربي المعاصر ط1، منشورات ضفاف، الجزائر.
12. السبكي، تاج الدين، جمع الجوامع في أصول الفقه، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط2، 2003.
13. السعدني، مصطفى، المدخل اللغوي في نقد الشعر، قراءة بنيوية، دار المعارف للنشر الإسكندرية مصر، سنة:1987م.
14. الطاهر، د. علي جواد، مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
15. عامر عبد زيد، قراءات في الخطاب الهرمنيوطيقي ط1، ابن النّديم للنشر والتّوزيع، دار الرّوافد الثقافية ناشرون، الجزائر، 2015.
16. غلفان، د. مصطفى، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحد بيروت–لبنان، 2013.
17. فاضل ثامر، اللغة الثانية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1999م.
18. فضل، د. صلاح، مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1 2002م.
19. فيصل، شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت ط4، 1987.
20. المرصفي، حسين، ينظر الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط1، 2012.
21. ناصف، مصطفى، نظرية التأويل، النادي الأدبي الثقافي وجدة ط1 2000م.
22. الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت– لبنان.
23. وغليسي، يوسف، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع. الجزائر، ط1، 2007م.